

نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

(2)

يلام نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحود في الشكل ، ولام في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بابدال حرف مكان ماخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ائنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان العربي اخذ اسماء ولم ياخذ افعالا او حروفا ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (الجام) قال : الهجت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان) : دون الحساب . ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او آلات او مأكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعهدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يجعله الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تأثر العرب بأساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة افوتهم جدتها وجذبهم لمعانيها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواضع حكمائهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ودحا من الزمان ، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد .

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والانية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية - وليس ذلك بمسير - وجدنا عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي . كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا اكثر من ثلث الفاظهم - ولم اغال في ذلك - عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جارتها ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل

في رجل من بني كليب ، يقال له (مجيّب) ، انهم
بقرفة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا عنه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه

طبرزين قين مقضبا للمفاصل

تداركه عضو المهاجر بعدما

دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء
احيانا ، واحيانا اخرى فاء ، لان نقطه واقع بين الباء
والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ
(برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف او جوهره .
وكذلك قالوا لـ (بئكان) فئجان . ومثلها : الاصفهانى
والاصهباني وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين
سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيتها (دشت)
قال الاعشى :

قد علمت فارس وحمير وال

اعراب بالدست ايكم نزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه و لشكر) الى بنفش
وعسكر . اما حرف (الكاف الفارسي) فقد اكثر
من تبدله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت
كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق)
فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا
حصل ابدالان ، فالقاف مكان الكاف والزاي مكان
الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما في غربال
التي اصلها (كربال) . اما تحول الكاف العربية والكاف
الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال :
لكام - لجام . كربه - قريبق ، ويعربها بعضهم
(كريبج وكريبج) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ،
لاننا سنرى بعد اسطر انهم كانوا يبدلون الهاء جيما
او قافا اذا كانت في آخر الكلمة .

اما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت
فانهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى
(فالودج) ، وهي حلوى من الطحين والنشاء
والشراب ، والموام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا
تركيا . و(برده) عربوها الى (بردج) وهي السبي من
الجواري او الغلمان . قال المعجاج :

كما رايت في الملاء البردجا

وقالوا للقصر (جوسق) واصلها (جوسه) وقد
تحولت في العامية الى (كشك) . وقد يبدلونها قافا
كما في (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق) .

واذا اتى قبل الهاء حرف الدال فانهم يبدلونها بالدال
فالجيم مثل : ساده ونموده ، قالوا : ساذج ونموذج .
وبدلوا التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا او ينقصون منها
حرفا ، فقالوا لـ (ككيد) التي هي بمعنى المفتاح (مقليد)
او (اقليد) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلقا باقليد

ونلاحظ انه لم يجتمع في كلمة عربية الجيم
والقاف الا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس في
ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس .
ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا
فصارت هندسة . كما انه ليس في العربية كلمة مبنية
من باء وسين وتاء ، واذا وجدنا كلمة رباعية او
خماسية وليس فيها حرف او حرفان من حروف
الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والتون
واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء والميم ،
فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو
فلذات اللحم التي تقطع للطبخ .

كما كان يتم التأثر عن طريق الجواري او
الاميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي
فكان لابد لهن من ان تؤثر لغتھن وعاداتھن في
ازواجهن واولادھن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء
الجواري وكم نظموا فيهن . فلقد اهدى الوليد بن
يزيد ابن ميادة الشاعر جارية طبرستانية رائعة
الجمال ، كان نقصها الوحيد في نظره انها لا تحسن
العربية ، فقال فيها :

باهلي ما الدلك عند نفسي

لو انك بالكلام تعريينا !

ويتبدى هذا التأثر بواسطة الاسر الفارسية
التي هاجرت من ايران الى البلاد العربية ، كما حصل
لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ،
فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه ابا
صفرة . والعرب اذا كانوا يأخذون اللفظة للحاجة ،
فقد اخذوها للتفكه ، كقول ابي المهدى :

يقولون لي شنبدا ، ولست مشنبدا

طوال الليالي او يزول تبير

ولا قاللا زودا ليمجل صاحبي

وبستان في صدري علي كبير

وشنبذ : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزودا من زود معناها جعل . وبستان : خد . أو يأخذونها للتفاح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الأمثال الكثيرة على ذلك في كتابي : يتيمة الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا باللام المجاورة ، على أن تأثرهم بالفرس أكثر وأوسع نطاقا . وقد جرت هذه الالفاظ الى العربية في أزمان متفاوتة . فلم ترحمهم كثرتها ولم يعقهم نطقها . ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وثابعية ودينا ولغة قبل الإسلام ، فإننا أثرا باستقلالهم واديانهم وعاداتهم ولغاتهم بعد الإسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت أديانهم وذابوا في الديانة الإسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية وعاداتها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق أن الأثر العربي الأول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل .

على أننا لا نلبث نراهم يقتبسون الالفاظ الدينية لتتبعها الالفاظ العلمية ثم الالفاظ الادبية . ورغم أن اللغة العربية هيمنت على الأدهى الفارسية ، ورغم أن القرون الثلاثة الأولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فإن العربية لم تستطع أن تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل ، وبين الشعراء لحاجتهم إلى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الالفاظ الفارسية في القافية دائما لأن الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أن ثمانية بالغة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع ، فقد لاحظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويعتمدون الاقلال من ذكر الالفاظ

العربية . وقام أدباء يحضون على الكتابة الفارسية - غير أن هاتين الطيقتين لم تستطعا الحد من التأثير اللغوي للحاجة الماسة إلى كل ما دخل من الفاظ ، حتى أنهم أنفسهم استخدموا الالفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

وكما دخلت القراءان الكريم الفاظ فارسية فقد دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والتشريف مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال . فاضطروا أن يقتبسوا من الاسم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية أقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

- فمن أسماء الأزهار الفارسية : النرجس . البنفسج . النسرين . الخيري . السوسن . الجلنار . الأرجوان .

- ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

- ومن الأطعمة : السميد . الكمك . السكاج . الدجاج . الكبة . الخريز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالودج (وعربت إلى البانولة) . الجوزنج . اللوزنج . الزردة . الجلاب .

- ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية (وهي الأكلة المعروفة في دمشق خاصة) .

- ومن المفردات الحضارية : مهندس . روزنامه . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (عربت إلى قصعة) . خز . ديباج . سندس . لجام . خربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فنجان . نيزله . زنديق . بازار .

- ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

- ومن الأسلحة والحرب : سهيد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش (علم) . طبرلين . جند . مسكر . لجام . صولجان .

- ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر (كاونر) . ذنب .

ولقد عمد العربي إلى ما خف على اللسان ، واستعذبت الأذن جرسه ، وأن كان عنده اسم لها ، لاستعمار : مسك . ثوت . وصاص . ميزاب .

مكان : مشوم . فرصاد . صرفان . مشعب .

— كما اخذوا بعض التراكيب منها :

— جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء) .
سرداب (الماء البارد) سراب (رأس الماء) . زركشة
(التطريز بالذهب) .

— كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من
الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل
بعضها لان اللغة الرسمية في بلاط استانبول كانت
اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير .
يشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج .
بوقالة . مهنا . بقلالة . ارمغان . برشت . كشتيان .
بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادباء العرب الكلمات الفارسية
في تراكيبيهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء :
« ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » .
والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية .
وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة
هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث
مجاهد : يغدو الشيطان بغيروانه الى السوق .
وغيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في
لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخذوا :

— مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم .
مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث .
قروان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبله
محراب . منارة . ابليس — زقوم . سلبيل .
حلال . حرام . بركة .

— ومفردات في الادارة والسياسة : خليفة .
ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطأ .
عارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

— ومفردات الدواوين : كتاب . حجر . قلم .
مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى
العشرة .

— ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف .
مخدة . طراز . رداء .

— ومن اسماء الاطيار : فاخشة . قمري .
بلبل . لقلق . غراب .

— ومن اسماء ادوات الرينة : حناء . غالية .
بخور .

— ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء .
طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فلك . مشرق .
مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

— ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . نقاب .
بيطار . بقال . صراف . دلال .

— واسماء خاصة بالاطعمة واللهمو : قمار .
سفرة . قنينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء .
هريسة . قطائف . قلية . نقل .

— واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم .
طبل . عراة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل .
دبوس . حربة . حلقة . قفل .

— واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف .
عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

— كما اخذوا تراكيب واتصلا ، واعتبروها
بشكل مفرد :

سرحداث : رأس الحدود . فهميدم : فهمت
(من الفهم) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع :
ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات
المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ،
وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شمرا
فارسيا وجدنا ان النسبة المئوية للمفردات العربية
تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سعى الاديب ان يقل
من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن
20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان اغلب الالفاظ العربية
التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها
الذي اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة
الفارسية التي دخلت العربية فانها صهرت بالعربية
واشتقوا منها حتى ضاع اصلها على المطالع . وربما
قيض الله يوما لائمة اللغة من الامتين تجمعهم حبة العلم
وفريضة الادب ليتحلوا حول الدواوين والمعجمات
سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر
يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من
تشابهات وصدف . وهل اخذت اللفظة من العربية ام
من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

أخذت من البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية
الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى
التبادل اللغوي بين الامةين . ذلك ان العرب
استخدموا أسماء فارسية لمسميات ، في حين ان
الفرس استخدموا أسماء العربية . وقد حصل
هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم)
والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش)
والفرس يستخدمون (برق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس
يستخدمون (قانون)

ونحن نقول اركيلة - ناركيلة ومعناها (جواز
الهند) والفرس يستخدمون (غليان)

ونحن نقول كنار ومعناها (طرف) والفرس
يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس
يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي)
والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (فطاء الليل)
والفرس يستخدمون (ملالة أي ملحفه)

ونحن نقول خرقة ومعناها (القراصة والاشياء
الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيشت ومعناها (الانعام)
والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب أسماء فارسية وتسموا بها
مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب
بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو
اسم بنت لقيط بن زراره وهو معرب عن (دخت
نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود مدن عربية اسمائها
فارسية مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم أو الله
المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس
راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى منبر .
القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى

والنواحي حول دمشق اسمائها فارسية مثل : مرة ،
كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد
تكون هذه التسميات اطلقها النازحون من بلاد
فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل :
شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهنار . سوزان .
كيكي . مهيار . فرهود . جهان . فرزان . وقد
تكون هذه الاسماء أسماء غلمان وجوار وقد تكون
استخدمناها تحببا لبرقتها .

واذا دخلت الاعلام الفارسية ، فان اغلب
اسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية .
فقد تأثرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من
الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه
الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون
هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح
الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة
فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم .
خدا كرم . وقد يستخدمون أسماء الانبياء واسماء
آل البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد
النبي . وقد يتغير اسم محمد الى ممد ، واسم محمد
علي الى ممد لي . ويسمون كلشوم فيقولون لها
كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر .
صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . تقي . وقد
يعرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل أو زينل
لايدين . وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة (عبد) :
عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين .
غلامعلي . كما ادخلوا عليها أسماء الاشهر الهجرية
فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تأثروا بأعيادهم التقليدية القديمة ، وأهمها
النوروز والمهرجان . وبالرغم من ان الامويين لم
يتعمدوا التأثير بالأعياد الفارسية . لأنها أخذت
تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى اذا كان
العصر العباسي نقلوا اليها الكثير من عاداتهم ، والتي
كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والأثر في
الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد أي عيد رأس
السنة ، ويأتي في 21 آذار من كل عام ، ويعتبر
أول الربيع ، وهو أعظم أعيادهم . أما المهرجان ولفظه
الفارسي مهران ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في أول
الخريف ، وأوله 23 أيلول . وأهم أمر في هذين

العبيدين اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم
الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله
وجهم طعام فارسي ، فاحبه وسال : ما هذا ؟ قالوا :
هو النوروز . فقال : نورزونا كل يوم . كما يحكى ان
الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان في
الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت في
العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على
حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من
الشائع ان نسمع عن النوروز في الشعر ، كما في
قول البحري وهو يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النوروز في غسق الدجى
اوائل ورد كن بالامس نوما
وقد مدح المنبي ابن العميد وهو يهنئه بعيد
النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده
وورت بالذى اراد زناده

عظمت ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حساده
وصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا
عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجائك عينا
اردشير ولا انور شروان

مهرجان كانما صورته
كيف شامت مخيمات الاماني

اما الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام
بين الامتين : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل
ظهورهما في الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ ومور.
واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز
ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع
قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب
وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني
الادب الذي يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان ترعرع ونشأ
في حقل الادب العربي ، وبعد ان غدته اللغة العربية
والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها
واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا كتبهم الادبية وجدناها زاخرة
بالافاصيص العربية والحكايات الشهيرة كحكايات
حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم
هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير .
قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القروان
والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمتنبي
والمرعي ، وكذلك تأثروا بالمقامات . والفوا على مثالها
في القرن السادس الهجري . على انهم اذا بدأوا
مقلدين لمذاهب واغراض الادب والشعر فانهم مسا
لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة
انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما الادب العربي فقد تأثر بدوره بالادب
الفارسي وثقافته ، ذلك ان كثيرا ممن دخلوا في
الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية ، وسرمان
ما ظهر منهم ومن نسلهم كتاب وشعراء بالعربية
في حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما
- في بادئ الامر - ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ،
اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى .
موسى شهوات . فهؤلاء وغيرهم نشأوا نشأة فارسية ،
وتأدبوا بالادب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب
العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم
عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ،
والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية في
شعرهم العربي الذي يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على
العرب ، كان يستوحى من تراث اجداده ما يقدر
ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول
اسماعيل :

رب خال متوج لي وعسم
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفر
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركي الفخر يا امام علينا
واتركي الجور وانظقي بالصواب

وانسالي - ان جهلت - منا وعنكم
كيف كنا في سالف الاحقاب

اذ نربي بنائبنا وتدسو
ن سفاها بناتكم في التراب

وكان اشعب في السامعين ، فقال له : صدقت
والله ، اراد العرب بناتكم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ قال اشعب : دفن العرب بناتهم خوفا من العار ، وريتموهن لتكفوهن ، (ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم واخلج اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب قداماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار : وفي كتب المعجم كذا ، وقرأت كتاب ابرويز الى ابنه شبرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء من اخلاق ملوك الفرس وما ادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهلها ، ويرون مدنيته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم ونسب شعريهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم التراجيز وجريير والفردق العراق ، وابو تمام والثنبي فارس . وقد كان الفرس شديددي الامجباب بالشعر العربي فكانوا يتوخون محاكاة في كل اشكاله واغراضه .

فالموضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع لموضوعات العرب كالمديح والفخر والهجاء والفزل والثناء والوصف والحكمة ، وتفوقوا في موضوعات الحماسة والقصص ووصف الطبيعة . وقد قلدوا العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر منوچمري في القرن الخامس الهجري وهو اول من قلد الاطلال . كما قلدهم في بكاء الديار والالام كما فعل خاقاني في وصف ابوان كسرى الذي سبقه البحتري بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين البخلي مدينة بلخ عندما خربها الفرس سنة 548 هـ . كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخذوها من العرب كالمديح والخمرة والفزل . وبرموا في الشعر القصصي ، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي للشاهنامة التي يزيد عدد ابياتها على خمس وخمسين الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلي والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تآثر العرب بها واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي فقد نشأ المروغس الفارسي في احضان المروغس العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه . الا ان الفرس آثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر طواعية للفتهم واقرب الى انطباعهم ، واخلطوا ثلاثة ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المثوي اي الشعر

مزدوج القافية بين الشطريين . كما اخترعوا الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب . واخلقوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تأثروا بالصورة الفارسية : الكميت . العنابي . الفردق . البحتري ابو تمام . الثنبي . الميري . وتورد بعض الكتب الادبية قطعاً وابياتاً تشير الى انها مقتبسة عن الشعر الفارسي كالبيان والنبين للجاحظ ، وبيضة الدهر لابن قتيبة ودمية القصر للباخري . على ان المجال الضيق لا يسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك . ونذكر ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والمروغس يقال عن البلاغة ، فقد كانت قواعد الاسلوب الادبي الفارسي مطابقة تماماً لقواعد الاسلوب العربي من حيث الإيجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ، لانهم نظموا باللغتين فسما (ذوي اللسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والفزل المكشوف قبل ان اختتم الموضوعات الشعرية . فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجروا بها ، وشربوها ، وحرّمها القرءان ، ووصفها الشعراء . وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع والجرأة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا من الشعراء الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي لم يبدأ قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان الاخطل وشارا وابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا اللهو اكثر .

والفزل المكشوف كان معروفا كذلك عند امريء القيس والنايفة والامشيس منذ الجاهلية ، وعند الاخطل وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي . ويرداد الفزل المكشوف حرية حتى يبلغ العصر العباسي عند بشار وابي نواس واسماعيل بن يسار وغيرهم . ولم يتأثر الشعراء العرب بالفزل الفارسي للسبب الذي ذكرناه في الخمرة ، ولكنهم تأثروا بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجرأة في الكشف . اما الفزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الفلمان والسقا . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بالماث وضمير خاص بالذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الإشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل المنادى مذكر ام مؤنث ، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الفول الفلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الفلمان والترف هي التي ساقطت الشاعر والعيادة الى هذا اللون من الفول . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الفول المكشوف والفول الفلامي .

وما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التأثير والتأثير نقوله من القصص والحكايات ، فقد تأثرنا بأساطيرهم وحكاياتهم وتأثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قراءتنا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثيرا في الامم وفي ادابها . فقد صرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمناوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمري والمتنبى وابي تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وفسان ، وبعض قضاة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكنده ، وكانت المجوسية في نعيم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها عن الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله قباز ومين مكانه الحارث ابن عمرو امير كنده بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بمقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تأثرت المعتزلة بمسالة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورثوه من اجدادهم ، ولم تمنح من مخيلتهم ملام دينهم القديم فاضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد افوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم آراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسالة) للرد على المناوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم فرقا ، وشتمتهم موقبا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج عن ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التأليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم بشوبها الخطا ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الاديان العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناواة شديدة في العصر الاموي ، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وعلما وفصحت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجدودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وما هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديبه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم
وحائز ارب ملك العجم

ومحيي الذي باد من مزهم
ومغنى عليه طول القدم

الى ان يقول :

فعودا الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الغنم

وقد امتدت حركة الشعوبية الى ارض الاندلس بلون آخر ، فقد ألف ابن غرسية رسالة في التهجم على العرب ، فرد عليه عدد من الادباء منهم : يحيى ابن مسعدة وابو جعفر احمد البلنسي .

كما ان الموالي ناهضوا افكارهم بتخليق احاديث مكذوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) . من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم منه عاجلا او آجلا . كذلك اخترع العرب احاديث ترفع من قيمة العرب وتحط بالمعجم ، من ذلك : « من فحش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تله مودتي » . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضررها . كما ان انتصار الموالي للرواية الفرس كابي عبيدة ، وانتصار العرب للرواية العرب كالاصمعي لم يات بالنفع بل اتي بالضرر . ومن اجمل الردود على مزاعمهم الشعوبية قول المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها عجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا عهد لهم ولا ذمم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يفضى عينيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفرس اثر كبير في الاخلاق السامية والاداب من ناحية حكمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة مؤثرات :

1 - بالتعاليم الدينية التي وردت في القرمان والاثر ، ومن الانجيل والتوراة .

2 - بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصر العباسي .

3 - وثالثاً بحكم واذاسيمس الفرس او ما نقل بواسطتهم من الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب الادب بها ، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثال هذه الحكم ، هيون الاخبار ، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ وابي حيان . المقد الفريد .

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب واستخدموها :

- اذا جاء البعير حام حول البير .

فاني ساعلو سريرو الملوك
بحد الحسام وحرف القلم

ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ، هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم بالفزول وبكاه الاطلاق ، ودعوته الملحة الى بدء القصائد بالخمريات . ولا يمكننا - كمرب - ان نعتبره تجديدا في الادب لان ابا نواس احاط برغبته هذه بالسخرية والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها
وعجبت اسال من خمارة البلد

دع ذا ، مدمتك ، واشربها معتقة
صفراء تلتقي بين الماء والزبد

كم بين من يشترى خمرا بلذ بها
وبين باله على نؤى ومنتفد

اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي ، حينما عجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحو مدائحهم بالفزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
اكل فصيح قال شعرا مقيم ؟

لحب ابن عبد الله اولى فانه
به يبدأ الذكر الجميل ويختتم

على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار . فمن الكتب التي الفت انتصارا للشعوبيين من الموالي :

- فضل المعجم على العرب وانتصار المعجم من العرب . تأليف : سعيد بن حميد البختكان .

- ادعياء العرب . لصوص العرب . فضائل الفرس . تأليف : ابي عبيدة معمر ابن النثني .

- المثالب . تأليف : علان الفارسي . المثالب الكبير والمثالب الصغير . تأليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقدت ، ولم يبق بين ايدينا الا الاسم ، والا النور القليل منتشرة في كتب الادب وهيون اخبارها . ومن اهم الكتب التي ردت على مزاعمهم :

- العرب - لابن قتيبة . البيان والتبيين للجاحظ .

- سألوا الشاب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .
- احذروا صولة الكرم اذا جاع ، واللثيم اذا
شبع .

- اذا اردت ان يقبل قولك فصصح رأيك ولا
تشوبه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله
منك العدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

- اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ، ولا
تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل
ولا قلبك بحديث نفسي .

- استع الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك
عالم وانه جاهل ، مصرحا او مبرضا . الى غير ذلك
مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القروان
والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والتمتبي والمصري
وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامور التى ادخلت العربية فى
الفارسية ، والفارسية فى العربية التصرف ،
والجوارى خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخل
نظام التسري الى الاسر العربية عادات وتقاليده
والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنوننا وموسيقا ما
كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجوارى من
بلادهم .

ولقد كان العربى يشتري القينة لفن تجيده ،
والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن ومرفوا
منهن اسماء الالات الموسيقية والازهار ورقة الفناء
والوان الطعام . كان كل ذلك يتابع للشعراء على
تأوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن

عربية . واذا استهجن الامويون ابناء الاماء فان الملب
امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات
وغير فارسيات .

وختما لعديشي ، انه لمن الخطا والفلو - كما
يقول احمد امين - ان نعتبر ان العرب كانوا بمعزل
مما حولهم من الثقافات والادبيات ، وان آراءهم
وادابهم وعلومهم نبتت وحدها من عقول عربية ، من
غير ان تغذى بغيرها .

فقد راينا انهم - حتى فى جاهليتهم - لم يكونوا
بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما
وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافى اية امة ، فالعلم
ملك شائع ومرفق مباح يفترق منه الناس جميعا ،
وليس له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسات ،
وانما الذى يقدح فى الامة حقا ان تغمض عيونها ،
وتسد اذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان
يدغمها التعصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس
عليها ، وتعمز اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم
تبتدع . كما على الامة ان تبحث عن تراثها ، ولا تتهاون
فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الدخيرة الدسمة والمجد
الايل الذى عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيق بين الادب العربى
والادب الفارسى الاسلامى فى العصر العباسى هذا
لزاما على دارسى الادب العربى من الفرس دراسة
الخطوط العريضة على الاقل للادب العربى ، واصبح
من الضرورى لفهم الادب العباسى العربى تفهم الثقافة
العربية التى كانت مفرمة من ارض الجزيرة العربية
شرقها وغربها ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة
تطور الادب الفارسى لمعرفة الجديد فى ادبنا والجديد
فى ادبهم .